الفصل الثاني

«موضوع تسبيح الكائنات من خلال قصة (داود)»

لقد تناول الشعراوي من خلال تفسيره لسورة الأنبياء، موضوع تسبيح الكائنات – حيةً كانت أو جماداً – وذلك من خلال خواطره حول قول الله تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)[1]

ولقد عالج الشعراوي هذا الموضوع من خلال العناصر الآتية:

(أ) نقد الشعراوي للمفسرين في فهمهم معنى التسبيح من الكائنات حيَّةً كانت أو جماداً.

(ب) معالجة الشعراوي لقضية تسبيح الكائنات الحية.

(ج) معالجة الشعراوي لقضية تسبيح الجمادات.

(د) الإنسان وموضوع تسبيح الكائنات.

لقد بدأ الشعراوي في عرض خواطره – حول الآية ٧٩ من سورة الأنبياء – ببيانٍ سريع لا يتجاوز بضعة أسطر حول قوله

---

[1] سورة الأنبياء: الآية: ٧٩.

تعالى: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...)[1] ثم انتقل مباشرةً إلى بقية الآية، وهي قوله تعالى: (وَسَخَّرْنَا[2] مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ[3] وَكُنَّا فَاعِلِينَ) معالجًا من خلالها موضوع «تسبيح الكائنات» فنراه يتناول هذا الموضوع بالشرح والتحليل، وكأنه وحدة قائمة بذاتها منفصلة عما قبلها وبعدها من الآيات؛ أي لقد كانت الإشارة التي حملتها الآية هنا من تسبيح الكائنات مع داود، هي الفتيل الذي أشعل الموضوع في خاطرة الشعراوي، فانصب عاكفًا على معالجته من خلال النص القرآني والسنة النبوية والمعارف العلمية واللغوية وغيرها.

---

[1] سورة الأنبياء: الآية: ٧٩.

[2] لقد عرف الشعراوي كلمة التسخير بأنها: «قهر المسخر على فعلٍ لا يستطيع أن ينفك عنه، وليس مختارًا فيه» انظر تفسير الشعراوي، ج١٥/ ص٩٦٠٢-٩٦٠٣.
وهذا التعريف يتفق وما أورده الراغب الأصفهاني حول معنى كلمة (سخَّر) يقول الراغب الأصفهاني: «التسخير سياقة إلى الغرض قهرًا...، والمُسَخَّر: هو المقيض للفعل والسُّخْرِيُّ: هو الذي يقهر فَيَتَسَخَّرُ بإرادته». انظر مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٠٢.

[3] الطير: «نصب «الطير» من جهتين إحداهما على معنى وسخرنا الطير، والأخرى مع معنى يسبحن مع الطير». انظر الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٣/ص٤٠٠، ط. دار الحديث ١٩٩٤م، القاهرة.

(أ) نقد الشعراوي للمفسرين في فهمهم معنى التسبيح من الكائنات:

لقد استهل الشعراوي موضوع «تسبيح الكائنات» بنقده لما أدلى به المفسرون في فهمهم معنى التسبيح من الكائنات، فنراه يعلق على من تناول هذه الآية بالتفسير قائلًا: «بعض العلماء حينما يستقبلون هذه الآية يأخذونها بظواهر التفسير، لا بعمق ونظر في لُبِّ الأشياء، فالجبال يرونها جامدة، ليس لها صوت معبِّر كما للطير؛ لذلك يعجبون من القول بأنَّ الجبال تسبح، فكيف لها ذلك وهي جمادات؟»[1]

وبعد تسجيل الشعراوي اعتراضه السابق، نراه يتجه محللًا وناقدًا لهذا الكلام، من خلال توظيفه لمعارفه المختلفة للرد على ما قاله العلماء حول تسبيح الكائنات، وذلك كمقدمة مفصلة تعرض لأفكاره وتؤيدها، وذلك قبل أن يشرع في عرض ما ورد في النص القرآني عن هذا الموضوع، بادئًا بعرض ما ورد عن الكائنات الحية أولًا، ثم الجمادات ثانيًا، وذلك تدرجًا منه في تناول الموضوع.

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٣.

والذي دفع بالشعراوي إلى القول السابق، هو اعتراضه على من ذهب من المفسرين إلى القول بأنَّ تسبيح الكائنات هو تسبيح دلالة، وليس تسبيحًا على الحقيقة.

وممن ذهب إلى هذا القول من المعتزلة الزمخشري، ففي تفسيره لهذه الآية يقول: «فإن قلت: لِمَ قُدمت الجبال على الطيور؟ قلت: لأنَّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق، فإن قلت: كيف تنطق الجبال وتسبح؟ قلت: بأنَّ يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى. وجواب آخر: وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله، فلما حملت على التسبيح وصفت به»[1]

إذن يرى الزمخشري بأنَّ الكلام إما مخلوق فيها لوقت حدوث ذلك الحدث، أو «أنها تسبح له بلسان الحال، حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته، فكأنها تنطق بذلك»[2]

ومن مدرسة التفسير الشيعي لاحظت أنَّ الطبرسي لم يُدلِ برأيه في هذا المضمار غير أنه أورد رأيًا للجُبَّائي وعلي بن عيسى،

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج٣/ص١٢٦.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج٢/ص٦٤٤.

يؤيدان فيه ما ذهب إليه الزمخشري، ويقول الطبرسي: «(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ...)[1] قيل معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار، فعبر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على أنَّ مسخرها قادر، لا يجوز عليه مما يجوز على العباد عن الجبائي وعلي بن عيسى»[2]

ومن مدرسة التفسير بالرأي نجد الرازي قد فَصَّل في تفسيره لهذه الآية؛ بين تسبيح الجبال وتسبيح الطير، فبعد أن عرض لجميع الآراء الواردة في هذا، نجده قد انتهى إلى أنَّ سير الجبال «هو التسبيح لدلالته على قدرة الله – تعالى – وعلى سائر ما تنزه عنه»[3] أما بالنسبة لتسبيح الطير يقول الرازي: «أمَّا الطير فلا امتناع في أن يصدر عنها الكلام»[4]

ويميل القرطبي إلى كون تسبيح الجبال تسبيح دلالة؛ وذلك لأنَّ «الجبال لا تعقل فتسبيحها دلالة على تنزيه الله – تعالى – عن

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

[2] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧/ص٨٢.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١/ص١٧٢.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١/ص١٧٢.

صفات العاجزين والمحدثين»[1] ولقد لاحظت أنَّ القرطبي لم يُسهب في تناوله لموضوع تسبيح الكائنات.

ولقد ذكر البيضاوي في معنى التسبيح الآراء كلها دون ترجيح لإحداها على الآخر، يقول: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ...)[2] أي «يقدسن الله معه إمَّا بلسان الحال، أو بصوت يتمثل له، أو بخلق الله فيها، وقيل يسرن معه من السباحة»[3]

لقد لاحظتُ من النماذج التي سقتها من آراء بعض المفسرين[4] - السابقة - ميلهم إلى أنَّ تسبيح الكائنات ما هو إلا تسبيح دلالة، وليس تسبيحًا منطوقًا.

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦/ص٤٤٩٩.

[2] سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

[3] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢/ص٧٨.

[4] هناك من المفسرين من لم يستوقفه موضوع تسبيح الكائنات، أهو تسبيحٌ على الحقيقة، أم تسبيح دلالة، فاكتفوا بشرح يسير يخرجهم من دائرة الخلاف التي دارت رحاها بين فريق من المفسرين، أو لأنَّ الموضوع لم يكن مدار اهتمامهم.

فنرى الطبري يذكر في معنى «يسبحن» أي «يصلين مع داود إذا صلى»، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩/ ص٥٢.

ونجد البغوي يكتفي بعرض تفسير ابن عباس لمعنى «يسبحن» والذي يقول فيه: «كان يفهم تسبيح الحجر والشجر» وكذا استحضر رأي وهب الذي يقول فيه: «كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير»، البغوي، معالم التنزيل، ج٣/ص٢١٤.

ومن خلال هذا يتبين موقف الشعراوي المعارض لهذا الرأي، بل والمقر بأنَّ هناك لغات لجميع الكائنات، لكننا لا نفقهها.

ومن هنا انطلق الشعراوي معالجًا لهذا الموضوع، ومقرًا بإمكانية وجود لغات للكائنات بما فيها الجمادات، فَقَدَّمَ لهذا الموضوع باستخدامه العديد من الأمثلة المختلفة من واقع الحياة، وكذلك من خلال توظيفه لمعارفه العلمية ومعارفه بعلم اللغة وبعلم التجويد – كما سنرى – ممهدًا بذلك إلى استحضار الشواهد القرآنية والنبوية التي تؤكد ما ذهب إليه من آراء حول هذا الموضوع.

فاتجه الشعراوي إلى استثارة جمهوره عن طريق دعوته إلى إعمال النظر في أجناس الناس في الأرض، يقول: «أنت لو قمت بمسحٍ شاملٍ لأجناس الناس في الأرض، واختلاف لغاتهم وألسنتهم وأشكالهم وألوانهم بحسب البيئات التي يعيشون فيها، فالناس مختلفون في مثل هذه الأمور متفقون فقط في الغرائز، فالجوع والعطش والخوف والضحك والعواطف كلها غرائز مشتركة بين جميع الأجناس، وهذه الغرائز المختلفة ليس فيها اختيار، ألم تر إلى قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى)[1] فما دام أنه سبحانه الذي يُضْحِك، والذي يُبْكِي، فلن نختلف في هذه الأمور»[2]

---

[1] سورة النجم، الآية: ٤٣.

ولقد تجلَّى في كلام الشعراوي السابق الفكرة التي تبناها اللغويون، وهي أنَّ طبيعة اللغة ليست غريزية. «فالكلام وظيفة إنسانية غير غريزية، إنه وظيفة مكتسبة، إنه وظيفة ثقافية»[٣] ويعني بذلك علماء اللغة ضرورة تعلم الإنسان لها، وإلا فلن يمارس عملية

---

[١] ومما ذكره الطبري في تفسير هذه الآية: أنَّ الله تعالى «أضحك من شاء من أهل الدنيا وأبكى من أراد أن يبكيه»، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١١، م ص٥٣٤.

ولقد ذكر الزمخشري في ذلك (أَضْحَكَ وَأَبْكَى) أي «خلق قوتي الضحك والبكاء»، الزمخشري، الكشاف، ج٤/ص٤١٦.

ومما ذكره الطبرسي أنَّ المقصود هو أنَّ الله تعالى «فعل سبب الضحك والبكاء من السرور والحزن. كما يقول: أضحكني فلان وأبكاني عن عطاء والجبائي»، الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٩/ص٢٣٣.

ولقد ذكر الشيخ/ محمد الغزالي في ذلك قائلًا: «ومن يتصور أنَّ الحياة داخل الدودة أو داخل الإنسان نفسه جاءت من داخل هذا الكيان نفسه فهو أحمق، لا الجرثومة ولا الإنسان يحركان أجهزة الحياة داخل إهابيهما، من قال: أنني آمر قلبي فينبض أو آمر مخي فيومض بالفكر؟ إنَّ الحياة في ذواتنا وفيما حولنا وفي أعقابنا من =بنين وبنات مفاضة علينا مِنَ الذي يملك ذلك كله، وهو الله سبحانه وتعالى» محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص٤١٨.

[٢] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٣.

[٣] د/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٥٢، ط. دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الكلام «فإذا عُزِلَ وليد عن أي مجتمعٍ إنساني، فإنه سيتعلم كيف يسير – باعتبار السير وظيفة بيولوجية عضوية غريزية – ولكنه لن يتعلم كيف «يتكلم» أي كيف يمارس النشاط اللغوي طبقًا للنظام التقليدي السائد في أي مجتمع من المجتمعات»[1]

ومن هنا يتضح أنَّ الإنسان يتعلم أي لغة عن طريق التعلم والاكتساب، فالعملية الكلامية ليست مثل الوظائف العضوية التي تعمل غريزيًّا دون اكتساب أو تعلم من الإنسان.

لقد أراد الشعراوي بتحليله السابق لقضية اختلاف اللغات أن يقدم لفكرة أنه إذا كان الناس أنفسهم مختلفين في ألسنتهم؛ فذلك لأنه أمر غير غريزي، فعملية الكلام أمر اكتسابي يحتاج إلى التعلم والمحاكاة، وهذا رغم اتفاق البشر في الغرائز المجبولين عليها. إذن لماذا ننكر أن يكون للأجناس الأدنى منا لغات خاصة بهم، لكننا لا نفهمها لأننا لم نتعلمها، ولا يعني جهلنا بها عدم وجود لغات لهذه الكائنات.

ويستمر الشعراوي في توضيح ومعالجة اختلاف اللغات بين البشر، مشيرًا إلى أنَّ اختلاف البشر في الألسنة ليس في أصوات

---

[1] د/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٥٢.

الحروف، فالحروف هي هي...إنما في المعاني الناجمة عن التقاء تلك الأصوات وتركيبها مع بعضها البعض بطريقة معينة تقتضيها طبيعة كل لغة، وبالتالي فالمعاني هي التي تختلف من لغة إلى لغة، وليست أصوات الحروف. «فمثلًا ننطق (شرشل) ينطقها أهل اللغات الأخرى كذلك، شين وراء وشين ولام، فنحن – إذن – متحدون في الحروف، لكن نختلف في معاني الأشياء»[1]

ولاحظت في كلام الشعراوي السابق ملاحظة لغوية أخرى، يبدو من خلالها تأثر الشعراوي بنظريات وتحليلات علماء اللغة. فحول ما أدلى به الشعراوي؛ نجد د/ محمود السعران يشير إلى أنه في الحقيقة ليس هناك ثمة «أعضاء خاصة بالكلام، مفردة له، ومقصورة عليه، ووظيفتها الأصلية هي الكلام. إنَّ الموجود فعلًا، والمستعمل في عملية الكلام هو أعضاء «صالحة» اتفاقًا لإنتاج الأصوات الكلامية»[2]

وما ذكره د/ السعران نقلًا عن العالم اللغوي سابير، يُعد أيضًا تأكيدًا على كون اللغة اكتسابية، وليست نشاطًا غريزيًّا، وهذا أيضًا ما سعى الشعراوي إلى تأكيده، وذلك حتى يسوقه دليلًا على وجود لغات لجميع الكائنات، لكننا لا نفقهها؛ لأننا لم نتعلمها.

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٣.

[2] د/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٥٥-٥٦.

ثم يسلك الشعراوي في تفصيل هذه المسألة مسلكًا أكثر رحابةً واتساعًا، يتجلى فيه توظيفه لعلم التجويد بجانب توظيفه السابق لمعارفه في علم اللغة، وذلك سبيلًا منه للوصول إلى النتائج التي يرنو إلى الوصول إليها في موضع إمكانية تسبيح الكائنات حيةً كانت أم جمادًا بلغاتٍ خاصة بها، فنراه قد حدثنا عن صفات الحروف، وهو باب كبير في علم التجويد[1]، عرض له كثير من علماء القراءات في مؤلفاتهم.[2]

ولقد وظَّف الشعراوي معرفته بباب صفات الحروف في علم التجويد، في توضيح هذه القضية التي بصدد خواطره عنها، يقول الشعراوي: «قد يعز على بعض الحناجر أن تنطق ببعض الحروف بطبيعة تكوينها، فغير العربي لا ينطق الضاد مثلًا، فليس عندهم إلا الدال، أما في العربية فعندنا فرقٌ بين الدال المرققة والضاد المفخمة، وفرقٌ بين السين والثاء، وبين الزاي والذال، وبين الهمزة[3]

---

[1] راجع ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١/ص١٦٢، ١٦٥، باب مخارج الحروف وصفات الحروف، ط. دار الصحابة للتراث بطنطا.

[2] راجع عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، ج١/ انظر ص٧٧-٨٤، ط. مكتبة طيبة، المدينة المنورة.

[3] فمما أورده ابن الجزري مثلًا عن مخرج الهمزة والهاء «أنَّ أقصى الحلق هو الهمزة والهاء. فقيل على مرتبةٍ واحدة، وقيل الهمزة أول» انظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١/ص١٦٣.

والعين[1]؛ لذلك نجد غير العربي يقول في (علي): ألي، فليس له قدرة على نطق العين، وهو إنسان ناطق بلغة ومتكلم»[2]

وباستعراض الشعراوي لبعض النماذج في صفات الحروف، من حيث التفخيم والترقيق، والتميزات الصوتية بين بعض الحروف وبعض، وذلك مثل حرفي السين والثاء، والزاي والذال؛ وذلك لكون هذه الحروف من الثنائيات الصوتية؛ أي التي يُفَرَّق بينها بالنطق الصحيح، وذلك عن طريق التعلم الصحيح لمخارجها، وأيضًا في غير هذه الثنائيات من الأصوات التي يفرق بينها بجودة النطق بالصفات الأصلية والصفات العرضية من تفخيمٍ وترقيق.

ولقد ذكر محمود السعران في حرف الهاء أنه: «صوت النفس الخالص الذي لا يلقى مروره اعتراضًا في الفم»، محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص١٤٨.

[1] لقد ذكر ابن الجزري أنَّ مخرج العين والحاء هو «وسط الحلق، وهو للعين والحاء المهملتين، فنص على أنَّ العين قبل الحاء...» ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١/ص١٦٣.

وقد ذكر د/ محمود السعران أنَّ العين هو «النظير المجهور للحاء؛ أي أنَّ العين يتكون حيث يتكون الحاء، وكما يتكون الحاء، إلا أنه تصحبه نغمة موسيقية، إذ يتذبذب الوتران الصوتيان عند تكوينه، فالعين صامت مجهور حلقي احتكاكي» د/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص١٤٨.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٤.

ولقد سعى الشعراوي - من خلال عروجه إلى علمي اللغة والتجويد - إلى الإشارة إلى أنَّ الأصوات التي يتكلم بها البشر ينتج من خلال تركيبها - بل وصفاتها في النطق - الاختلاف الناجم بين البشر في ألسنتهم، حتى إنه في اللغة الواحدة توجد فروق بين صفات أصواتها ينشأ عنه كذلك اختلاف في المعاني، وفي هذا المضمون يقول د/ محمود السعران من أنه «لا يمكن الأخذ في دراسة لغةٍ ما أو لهجةٍ ما دراسة علمية، ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية، فالكلام أولًا وقبل كل شيء سلسلة من الأصوات، فلا بُدَّ من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة التي تتألف منها «المقاطع» التي هي على أنظمة معينة تختلف باختلاف اللغات»[1]

ولقد أراد الشعراوي أن ينتهي من خلال حديثه السابق إلى أنه إذا كنا نحن أبناء الجنس الواحد يوجد بيننا اختلاف في اللغات «ولا يفهم بعضنا لغات بعض، فهذا عربي وهذا إنجليزي وهذا فرنسي...إلخ، فإذا لم تتعلم هذه اللغة لن تفهمها»[2]

---

[1] د/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ١٠٤.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٤.

إذن لا تتم المعرفة إلا بالتعلم، ومن هذه النتيجة التي توصل الشعراوي إليها من خلال تحليلاته السابقة، نجده اتخذها أحد البراهين في إثبات وجود لغات لجميع الكائنات – حيةً كانت أو جماداً – لكننا نجهلها.

وانطلاقًا من أننا نجهل لغات تلك الكائنات، بما فيها جهلنا نحن البشر بلغات بضعنا البعض، حتى في نطق بعض الأصوات؛ لأننا لم نتعلمها «فلما نعجب حين لا نفهم لغة الطير أو لغة الجمادات، وهي أشياء مختلفة عنا تمامًا؟ فلا يعني عدم فهمنا للغتهم أنهم ليست لهم لغة فيما بينهم يتعارفون عليها، ويعبرون بها»[1]

فالشعراوي يرى أنَّ جميع الكائنات مسبحة بلغةٍ لا نفهمها، ولقد أيَّد فريق من العلماء أنَّ الكائنات جميعها مسبِّح، ولكن دون الخوض في مسألة ما إذا كان لها لغة أو لا.

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٤.

فقوله تعالى: (يُسَبِّحْنَ) قد «ذهبت فرقة وهي الأكثر إلى أنه قول سبحان الله»[1] وهذا أيضًا ما ذهب إليه الثعالبي «أي يقلن سبحان الله»[2]

ويقر الألوسي بتسبيح الكائنات على الحقيقة، ويتضح ذلك من خلال نقله لمن فهم أنَّ ترديد الكائنات بالتسبيح مع داود – عليه السلام – أنَّ المقصود به الصدى «فهو خلاف الظاهر، وليس فيه من إظهار الكرامة...، ودونه ما قيل أنَّ ذلك بلسان الحال»[3] فالألوسي يرفض رأي من يقول بأنَّ تسبيح الكائنات إما بلسان الحال أو بالترديد، إنما يرى بتسبيحها على الحقيقة.

وما ذهب إليه هذا الفريق من العلماء يتفق وما أدلى به الشعراوي في هذا المضمار، قال الشعراوي: «إذن لا تستبعد أن يكون للأجناس الأدنى منك لغات يتفاهمون بها، وأنت لا تفهمها، بدليل أنَّ الله أعطانا صورة من لغات الطير، ففهم عنها وخاطبها»[4]

---

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ج٤/ص٩٣، ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

[2] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج٢/ص٣٨٢.

[3] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢/ص٣٨٢.

[4] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٤.

(ب) معالجة الشعراوي لقضية تسبيح الكائنات الحية:

لكي يبرهن الشعراوي على وجود لغات لجميع الكائنات حيةً كانت أم جمادًا، فقد ابتدأ أولًا بعرض النماذج القرآنية التي تثبت وجود لغات للكائنات الحية، ثم اتجه بعد ذلك إلى استحضار الشواهد القرآنية التي تشير إلى وجود لغات للجمادات، فبالنسبة لما ورد عن الكائنات الحية في القرآن الكريم، فقد استشهد الشعراوي بفهم سليمان – عليه السلام – لمنطق الطير، يقول الشعراوي: «وقد حكى الحق سبحانه وتعالى عنه (أي عن سليمان): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)[1]»[2] إذن لولا أنَّ الله – تعالى – عَلَّم سليمان لغة الطير لما فهم عنهم شيئًا، ثم استحضر الشعراوي بحوار الهدهد مع سليمان – عليه السلام – يقول الشعراوي: «وها هو الهدهد يقول لسليمان – عليه السلام – لما تفقد الطير، ولم يجد الهدهد فتوعده (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[3]»[4]

---

[1] سورة النمل، الآية: ١٦.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٤.

[3] سورة النمل، الآية: ٢٢.

[4] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

ولقد استوقفت الشعراوي مقالة الهدهد، فأثار انتباه جمهوره إليها قائلًا: «انظر إلى قول الهدهد للملك: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) ثم معرفته الدقيقة بقضية التوحيد (...وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...)[1]»[2] ويذكر الرازي في حكمة إنباء الهدهد سليمان بما أحاط به، أنه «تنبيهٌ لسليمان على أنَّ في أدنى خلق الله – تعالى – من أحاط علمًا بما لم يحط به، فيكون ذلك لطفًا في ترك الإعجاب، والإحاطة بشيءٍ علمًا أن يعلم من جميع جهاته»[3]

ولقد استمر الشعراوي في نظرته الدقيقة لأقوال الهدهد، فيسوق لنا اعتراض الهدهد على شرك هؤلاء الكفار، وحجته في ذلك. يقول الشعراوي: «ويعترض الهدهد على ذلك الشرك، ويرد عليه بشيءٍ خاصٍّ به، وبظاهرة تهمه: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[4] فاختار الهدهد مسألة إخراج الخبء؛ لأنَّ منه طعامه، فلا يأكل من ظاهر الأرض، بل لا بُدَّ أن ينبش الأرض، ويخرج خبأها ليأكله»[5].

---

[1] سورة النمل، الآية: ٢٤.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٢/ص٢٠٠.

[4] سورة النمل، الآية: ٢٥.

[5] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

ولقد طاف بنا الشعراوي في قصة الهدهد الذي أخبر وخاطب سليمان – عليه السلام – بقوله: «علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغه أنت وجنودك»[1] فلقد وجد «بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريَّان»[2] هي وقومها «مجوسًا يعبدون الشمس»[3] من دون الله تعالى.

ولقد أراد الشعراوي أن يشير من خلال استحضاره لنموذج الهدهد في حواره مع سليمان – عليه السلام – إلى أنَّ الله – تعالى – قد علَّم سليمان – عليه السلام – لغة الطير لذا فَهِمَ عنهم، وبالتالي فهم عن الهدهد وخاطبه.

وكذلك استحضر هذا النموذج؛ لكي يؤكد فكرته التي قَدَّم لها سابقًا، والتي تحدث فيها أنَّ اللغات يتعلمها الإنسان عن طريق الاكتساب والتثقيف، ومن هذا المغزى أثبت أنَّ لغات الكائنات كذلك تحتاج إلى علمٍ وإلمامٍ بها حتى يعرفها الإنسان، وذلك كما علَّم الله – تعالى – سليمان – عليه السلام – منطق الطير، ويعتبر الشعراوي هذا دليلًا على وجود لغات لجميع الكائنات، غير أننا نجهل تلك اللغات لعدم ثقافتنا بها.

---

[1] البغوي، معالم التنزيل، ج٣/ص٣٥٤.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦/ص١٩٦.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج٣/ص٣٤٩.

ويأتينا الشعراوي بالنموذج الثاني من النص القرآني، والذي يصوِّر وجود منطق لكل عالم من الكائنات، فاستحضر قصة النمل مع (سليمان) عليه السلام. يقول الشعراوي: «وكذلك النمل، وهو أقل من الهدهد، فقد كان للنملة مع سليمان لغةً وكلامًا، وفَهِمَ عنها (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ[1] النَّمْلِ قَالَتْ[2] نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا[3] مِنْ قَوْلِهَا...)[4]، إذن كان الكلام للنمل، لكن فهَّمه سليمان؛ لذلك قال: (...أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...)[5] ذلك لأننا لا نفهم هذه اللغات إلا إذا فهمنا الله تعالى إياها...»[6]

وقبل أن أكمل عرض الشعراوي لخواطره حول موضوع تسبيح الكائنات، أود أن أعرج إلى ما ذهب إليه الشيخ/ محمود شلتوت في

---

[1] «قال عنه كعب هو وادٍ بالطائف، وقال قتادة ومقاتل: هو بأرض الشام» البغوي، معالم التنزيل، ج٣/ص٣٥١.

[2] (قَالَتْ نَمْلَةٌ) «...إنَّ النمل ها هنا أجرى مجرى الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون» الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٤/ص١١٢.

[3] (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا) «تبسَّم شارعًا في الضحك وآخذًا فيه، يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام» الزمخشري، الكشاف، ج٣/ص٣٤٥.

[4] سورة النمل، الآيتان: ١٨، ١٩.

[5] سورة النمل، الآية: ١٩.

[6] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

نقده لمناهج المفسرين في تأويل القصص القرآني، فكان من المناهج التي نقدها منهج من يقوم «بصرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعو إلى هذا التأويل[1]... فيقوم بصرف اللفظ عن معناه الوضعي إلى هذا المعنى الواقعي الذي يزعمه المؤول مدلولًا للكلام»[2] ثم يشير شلتوت إلى أنَّ السبب في اللجوء لمثل هذا النوع من التأويل هو أنَّ صاحبه «قد يحكم فيه مجرد الاستبعاد لما يؤديه الكلام من المعنى الظاهر، وكثيرًا ما يقصده بعض الباحثين دفعًا لما يثيره خصوم القرآن على القرآن..ويدخل في هذا القسم...حمل النمل في قصة سليمان على أنه قبيلة ضعيفة»[3]

فهناك إذن من المفسرين من رفض أن يكون للنملة منطقًا وحوارًا مع (سليمان) عليه السلام، فتكلف في تأويل القصة وأخرجها عن معناها الظاهر بتأويل يتنافى وجوهر المعنى. ولقد وضح الشيخ/ شلتوت شروطًا لقبول هذا المنهج، وذكر أنه لا بُدَّ أن يطبق على هذا المنهج «قانون التأويل الذي يتلخص في: أنه إذا كان التأويل لا يقضي

---

[1] لقد نقد الشيخ/ شلتوت هذا المنهج في تأويل القصص القرآني، وذكر أن: «هذا المنهج هو من طريقة التأويل التي أسسها الباطنية» الشيخ/ محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص٤٦، ط. دار الشروق.

[2] محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، ص٤٥-٤٦.

[3] محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، ص٤٥.

على أصل ديني ولا يمس عقيدة ثابتة، وهو في الوقت نفسه يحتفظ للعبارة القرآنية بواقع تعبر عنه تعبيرًا صادقًا، وكانت اللغة تسمح به، فإنه يكون مقبولًا من الوجهتين الدينية واللغوية»[1]

(ج) معالجة الشعراوي لقضية تسبيح الجمادات:

وبَعْدَ سوق الشعراوي لنموذجي الهدهد والنملة في قصتيهما مع (سليمان) عليه السلام، واللتين ساقهما دليلاً على إثبات القرآن الكريم لوجود منطق لعالم الكائنات، نراه قد اتجه إلى إثبات وجود منطق للجمادات متكئًا على ما ناقشه قبلًا من شواهد قرآنية، ثم أضاف إليها شواهد قرآنية، وشواهد أخرى من السنة النبوية المشرَّفة، ومعارف علمية تثبت ما ذهب إليه؛ ولذا نراه يُلمح بالنقد ثانية على من قال من المفسرين بأنَّ تسبيح الكائنات هو تسبيح دلالة، وليس تسبيحًا على الحقيقة، فيعقب ناقدًا بقوله: «ومع هذا حينما وقف العلماء أمام هذه الآية (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ[2]...)[1]

---

[1] الشيخ/ محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، ص٤٦.

[2] وأصل معنى كلمة التسبيح هو «سبح، والسبح المر السريع في الماء وفي الهواء...والتسبيح: هو تنزيه الله تعالى، وأصله المر السريع في عبادة الله تعالى...وجعل التسبيح عامًّا في العبادات قولًا كان أو فعلًا أو نية» الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٩٢.

قالوا: يعني تسبيح دلالة، فهي بحالها تدل على الخالق سبحانه، وليس المراد التسبيح على حقيقته، وأولى بهم أن يعترفوا لها بالتسبيح، لكنه تسبيح لا نفهمه نحن كما قال تعالى: (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا[٢])[٣]»[٤]

والآية التي استشهد بها الشعراوي على وجود لغات للجمادات تسبح الله تعالى بها، وهي قوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[٥]

---

[١] سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

[٢] لقد أورد السيوطي في الإتقان في موافقة آخر الآية لمعناها أنَّ «الختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر في بادي الرأي. وذكر في حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون، ختم به مراعاة للمقدر في الآية...وقيل: حليمًا عن تفريط المسبحين، غفورًا لذنوبهم، وقيل: حليمًا عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بإهمالهم النظر في الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه» السيوطي، الاتفاق في علوم القرآن، العدد ١٧، ص٣٥٣، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

[٣] سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

[٤] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

[٥] سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

لقد أيَّد فريق من المفسرين ما ذهب إليه الشعراوي في فهم هذه الآية، ولكن قبل العروج إليهم، أود أن أشير إلى ما قاله ابن حجر العسقلاني أثناء شرحه لحديث حنين الجذع[1] لرسول الله ﷺ، فقد ذكر في شرحه أنَّ «في الحديث دلالة على أنَّ الجمادات قد يخلق الله لها إدراكًا كالحيوان، بل كأشرف الحيوان، فيه تأييد لقول من يحمل: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...)[2] على ظاهرة»[3] فلقد أجاز ابن حجر – مثل بعض العلماء – إمكانية تسبيح الجمادات تسبيح مقال، لا تسبيح حال.

ولقد أورد الطبري في شرح آية سورة الإسراء العديد من المرويات التي تؤكد تسبيح جميع الخلق لله تعالى، وأورد بعض الآراء التي ترى بأنَّ التسبيح خاص بكل شيءٍ فيه روح، بينما أغلب ما أتى به من المرويات تؤكد تسبيح جميع الخلائق بما فيها الجمادات.

---

[1] فلقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله أنه ﷺ «لما صنع له المنبر، فكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العِشَار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكت» والعشراء الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٥٨٥، ج١٠/ص٤٥٩، ط. دار الغد العربي.

[2] سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٠/ص٤٦٠.

ومن تلك المرويات ما حدَّث به الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر، مما جاء في حديثه «أنَّ الرجل إذا قال: «سبحان الله» فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدًا من خلقه إلا نوَّره بالصلاة والتسبيح»[1]

وما أدلى به الطبري في شرح قوله تعالى (وَلَكِنۡ لَا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ)[2] كان متفقًا مع ما قرره الشعراوي من وجود لغات لجميع عوالم الكائنات حيةً كانت أو جمادًا. يقول الطبري: «(وَلَكِنۡ لَا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ) يقول تعالى ذكره: ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم»[3]

بينما أورد الطبرسي في شرح آية سورة الإسراء ثلاثة آراء تظهر اختلاف العلماء في تفسيرها، ودون ترجيح منه لأي منها على الآخر. ومن ضمن هذه الآراء الرأي الذي تبناه الشعراوي، وهو تسبيح الجمادات كذلك بلغات خاصة بها كالأحياء.

قال الطبرسي: «(وَلَكِنۡ لَا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ)...أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله – تعالى – من جهة

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٨/ص٨٥.

[2] سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٨/ص٨٥.

خلقته...وقيل: إنَّ معناه وما من شيءٍ من الأحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن، وقيل: إنَّ كل شيء على العموم من الوحوش والطيور والجمادات يسبح الله – تعالى – حتى صرير الباب، وخرير الماء عن إبراهيم وجماعة»[1]

ولقد أورد الزجاج في ذلك أنه قيل: «إنَّ كل ما خلق الله يسبح بحمده، وإنَّ صرير السقف وصرير الباب من التسبيح لله عز وجل...(وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)[2] جائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء مما علم الله به، لا يُفْقَه منه إلا ما علمناه»[3]

ويذكر عبد الكريم الخطيب أنَّ التعبير بكلمة «تفقهون» تحمل إشارة إلى «أنَّ هذا التسبيح لا يراه، ولا يدرك معناه إلا أهل الفقه الذي اختص به الراسخون في العلم»[4]

وهكذا فلقد وجدنا فريقًا من العلماء يعترف بوجود منطق للجمادات تسبح الله – تعالى – به، ولكن لا نفقهه، وهذا الرأي هو ما تبناه الشعراوي، واختاره من جملة الآراء التي قيلت في هذه

---

[1] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦/ص٢٠١.

[2] سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

[3] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٤/ص٢٤٢.

[4] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٤/ص٤٩٣.

القضية. ولقد اتخذ الشعراوي آية سورة الإسراء أحد الأدلة القرآنية في إثبات ذلك، ومن هذا المغزى انطلق الشعراوي عقبها موضحًا التالي يقول: «والآن نرى في طموحات العلماء السعي لعمل قاموس للغة الأسماك، ولغة بعض الحيوانات، ولا نستبعد في المستقبل عمل قاموس للغة الأحجار والجمادات، وإلا فكيف ستكون ارتقاءات العلم في المستقبل؟ وهذه حقيقة أثبتها القرآن؛ تنتظر أن يكتشفها العلم الحديث»[1]

ولكي يبرهن الشعراوي على هذا في حدود معارفه وإمكاناته، فقد استحضر قضية تسبيح الجبال مع داود – عليه السلام – وخبر تسبيح الحصى في كف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما سنرى وعالجهما؛ وذلك حتى يثبت أنَّ للجمادات وللكائنات منطق؛ إذن فهي مسبحة له – تعالى – بلسان المقال، وليس بلسان الحال.

أكد من خلال هذين الشاهدين أنَّ للجمادات حياة تناسبها، وزاد على ذلك بمزيد من الشواهد القرآنية، وبعض الإشارات العلمية، ثم انتهى من ذلك إلى أنَّ لغة الأداء والبيان ليس من

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

الضروري أن تتم بالكلام المسموع، حتى نعترف لهم بمنطق خاصٍّ بهم.

والآن نأتي لمعالجة الشعراوي لمسألة تسبيح الجبال مع داود – عليه السلام – منبهًا إلى مسألة مهمة، ألا وهي أنَّ الجبال والكائنات مسبحة في كل أحوالها، ليس فقط مع (داود) عليه السلام. يقول الشعراوي: «المزية التي أعطاها الله – تعالى – لنبيه داود – عليه السلام – ليست في تسبيح الجبال؛ لأنَّ الجبال تسبح معه ومع غيره، إنما الميزة في أنها تردد معه، وتوافقه التسبيح، وتجاوبه، فحين يقول داود: سبحان الله تردد وراءه الجبال: سبحان الله، وكأنهم جميعًا (كورس) يردد نشيدًا واحدًا»[1] وهذا ما أوضحه عبد الكريم الخطيب حينما نبَّه إلى أنَّ السر في قوله تعالى «(مَعَ دَاوُودَ) بدلًا من (لداود)...أنَّ الجبال والطير هنا مسخرة معه للتسبيح والتمجيد، وليست مسخرة له. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ)[2]»[3] فالشعراوي يؤكد أنَّ

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

[2] سورة سبأ، الآية: ١٠.

[3] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٤/ص٩٢٦.

للجمادات حياة لا ندركها، وصمت الطبيعة حولنا لا يعني أنها لا تملك حياة، بل تملك حياة غير التي نألفها ونحياها، فيوضح أنَّ كلمة جماد لا تعني أنه لا حياة فيه، فهو جماد من حيث صورة تكوينه، ولكن «لو تأملنا المحاجر في طبقات الأرض لوجدت بين الأحجار حياة وتفاعلًا وحركة منذ ملايين السنين، ونتيجة هذه الحركة يتغير لون الحجر، وتتغير طبيعته، وهذا دليل الحياة فيها...»[1]

وبعد أن أثبت الشعراوي أنَّ للجماد حياة عن طريق التحليل السابق الذي يشي ببعض المعارف العلمية، اتجه إلى ضرب المثل لتبسيط هذه المسألة لجمهوره المختلف الثقافات. يقول: «...انظر مثلًا لو دهنت الحجرة لونًا معينًا تراه يتغير مع مرور الزمن، إذن في هذه الجمادات حياة لا ندركها»[2]

وبموضعية الشعراوي نراه يستحضر من السنة الخبر الوارد حول تسبيح الحصى بين يدي النبي ﷺ، فنراه ينقد هذا الخبر كي يدعم به ما ذهب إليه في موضوع تسبيح الجمادات. يقول: «إنَّ

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

الذين يقولون في معجزات النبي ﷺ أنه سبح الحصى في يده[1]، أنَّ هذه المقولة غير دقيقة تحتاج إلى تنقيح عقلي، فالحجر مسبح في

---

[1] لقد ضعَّف علماء الحديث، وعلى رأسهم ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري مروية تسبيح الحصى. قال ابن حجر: «وقد اشتهر على الألسنة تسبيح الحصى، ففي حديث أبي ذر قال: تناول النبي ﷺ سبع حصيات، فسبحن في يده، حتى سمعت لهن حنينًا، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن»

قال البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح بن الأخضر، ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن أبي يزيد السُلَمِي عن أبي ذر، والمحفوظ ما رواه شعيب عن أبي حمزة عن الزهري، قال: وذكر الوليد بن سويد أنَّ رجلًا من بني سليم كان كبير السن. انتهى.

عن أنسٍ – رضي الله تعالى عنه – قال: «أخذ النبي ﷺ كفًّا من حصى، فسبحن في يده، حتى سمعنا التسبيح» رواه الطبراوني والبزار، وقال العراقي: إنه حديث ضعيف.

كتاب أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب، لمحمد بن السيد درويش الشهير بالحوت البيروتي، ص٨٦، ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط. أولى سنة ١٣٥٥هـ.

وليس لحديث تسبيح الحصى إلا هذه الطريقة الواحدة مع ضعفها...مشهور عند الناس، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج١٠/ص٤٤٠.

يد رسول الله ﷺ، وفي يد أبي جهل، إذن قل: إنَّ المعجزة هي أنَّ رسول الله سمع تسبيح الحصى في يده»[1]

والخبر الذي أشار إليه الشعراوي - وهو تسبيح الحصى في يد رسول الله ﷺ -كان من جملة الأخبار الواردة في معجزات أو دلائل النبوة، والمعروف أنَّ ظهور هذه الآيات حال حياة النبي ﷺ، وفي حضرته أنها برهان على نبوته. وما ذهب إليه الشعراوي من أنَّ

انظر البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٦/ص٦٤-٦٥، وثَّق أصوله وخرج حديثه وعلَّق عليه د/ عبد المعطي قلعجي، ط. دار البيان للتراث، القاهرة، د. أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ويعلق القسطلاني على جملة الأخبار الواردة حول تسبيح الحصى ونبع الماء ونطق الجذع...وتكليم الذراع وشكوى البعير في أنه «لا مرية أن رواة الأخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة، ولا يحفظ عن أحد من أصحابه مخالفة الرواة فيما حكاه من ذلك، ولا إنكار عليه فيما هنالك، فيكون الساكت منهم كالناطق؛ لأنَّ مجموعهم محفوظ عن الإغضاء على الباطل.

وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم إنكار أو طعن على بعض من روى شيئًا من ذلك، فإنما هو من جهة توقف في صدق الراوي، أو تهمته بكذب، أو توقف في ضبطه، أو نسبته إلى سوء الحفظ، أو جواز الغلط، ولا يوجد أحد منهم طعن في المروي...» أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج٢/ص٣٥٤، ط. المطبعة الشرفية، ط. ١٣٢٦هـ/١٩٠٧م.

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٥.

الحصى يسبح في حضرته ﷺ وفي غير حضرته فهو أمرٌ صحيح، يؤيده ظاهر الشواهد القرآنية الكريمة، ولكن ليس كما يقول أنَّ الخبر يحتاج إلى تنقيح[1]، بينما يحتاج إلى تصحيح فهم الناس له

---

[1] لا يحتاج الخبر إلى تنقيح كما يذكر الشعراوي؛ لأنه قد ورد في السنة الصحيحة أخبار عدة عن تسبيح الطعام وحنين الجذع وشكوى البهائم وتكليم النبي للجماد مثل تكليمه لأحد، وتسليم الجماد عليه ﷺ، وغير ذلك من الأخبار الصحيحة، وكلها قد وردت ضمن علامات وآيات النبوة.

فحول ما جاء في السنة الصحيحة عن تسبيح الطعام، فعن ابن مسعودٍ قال: «كنا مع رسول الله صلى الله علي وسلم في سفر، فقلَّ الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناءٍ فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حي على الطهور المبارك =والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل» البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب علامات النبوة، ج٤/ص٢٣٧، ط. دار الحديث بالقاهرة.

ولقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنَّ النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرةٍ أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: «يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا، قال: إن شئتم؛ فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دُفِعَ إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه تئن أنين الصبي الذي يُسَكَّنْ، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها» ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم ٣٥٨٤، ج١٠/ص٤٥٨-٤٥٩.

ولقد أخرج مسلم عن جابر بن سمرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن» صحيح مسلم بشرح

ولغيره من الأخبار الواردة في علامات النبوة، فالحصى لم تسبح لكونها في يد رسول الله ﷺ، بينما سبَّحت بصوت مسموع؛ دلالة على نبوته ﷺ وسُمِعَ تسبيحها.

ولا بُدَّ من الإشارة إلى مسألةٍ مهمة، وهي أنه طالما قد صحت الأحاديث الواردة في تسبيح الطعام وحنين الجذع وغير ذلك من الأخبار، فذلك يدعم خبر تسبيح الحصى الضعيف.

ثم يواصل الشعراوي تأكيده أنَّ للجمادات حياة، وما دام لها ذلك وجب أن يكون لها منطق خاص بها. يقول الشعراوي: «فما من شيءٍ في كون الله إلا وله حياة تناسبه، وله لغة يسبح الله بها أدركناها أم لم ندركها؛ لأنَّ الكلام فرع وجود حياة، وكل شيء في الوجود له حياة، فعلبة الكبريت هذه التي تستعملها يقول العلماء: إنَّ بين ذراتها تفاعلات تكفي لإدارة قطار حول العالم، هذه التفاعلات دليل حركة وحياة»[1]

النووي، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ج٩/ص٣٦، ط. مصطفي البابي الحلبي وأولاده.

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٧.

ويأتينا الشعراوي بالدليل القرآني الذي يثبت وجود حياة لجميع الموجودات والكائنات، ويحللها تحليلًا يتناسب ونسق الموضوع الذي يعالجه. يقول: «ألم يقل الحق سبحانه وتعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ...)[1]، فكل ما يقال له شيء – إلا وجه الله – هالك، والهلاك يعني أنَّ فيه حياة؛ لأنَّ الهلاك ضد الحياة، كما جاء في قوله تعالى: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)[2] فكل شيء في الوجود له حياة بقانونه...»[3]

وبعد أن أكد الشعراوي أنَّ للكائنات حياة، وذلك حتى يُثْبِتَ أنَّ لها منطقًا خاصًّا بها، انتهى إلى أنَّ لغة الجمادات أو الأحياء ليس من الضروري أن نسمع لها كلامًا حتى نعترف بوجودها، واستدل على ذلك من خلال القرآن وتوظيفه بعض المعارف للمعالجة، وضرب المثل للتبسيط على جمهوره مختلف الثقافات. يقول الشعراوي: «...ليس من الضروري أن تسمع الكلام حتى تعترف بوجوده، فهناك مثلًا لغة الإشارة، وهي لغة مفهومة ومعبرة، ألا ترى مثلًا إلى خادم ينظر إليه سيده مجرد نظرة يفهم منها ما يريد أن

---

[1] سورة القصص، الآية: ٨٨.

[2] سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٧.

يقدمه للضيف مثلًا، البحارة لهم إشارات يتعارفون عليها، ويتفاهمون بها، جهاز التلغراف لون من ألوان الأداء، ووسيلة من وسائل التفاهم، إذن الأداء والبيان ليس من الضروري أن يتم بالكلام المسموع، إنما تتفاهم الأجناس ويكلم بعضهم بعضًا كلٌّ بلغته...ولذلك يقول تعالى: (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)[1] والتنوين هنا دال على التعميم، فلكل شيء صلاته التي تناسبه وتسبيحه الذي يناسب طبيعته»[2]

...لقد جزم الشعراوي بوجود صلاة خاصة وتسبيح خاص لجميع الكائنات حيةً كانت أم جمادًا، وذلك انطلاقًا من فكرته التي سعى إلى تأكيدها، وهي أنَّ كل الكائنات لها حياة خاصة بها، وبالتالي لها لغة خاصة بها تناسب طبيعة حياتها، وبناءً على هذا، فلكل شيءٍ من الموجودات صلاته الخاصة به، وتسبيحه الخاص به بلسان المقال، وليس بلسان الحال.

ولم يذكر الشعراوي خلاف المفسرين حول معنى كلمة «الصلاة» الواردة في آية سورة النور التي استشهد بها.

---

[1] سورة النور، الآية: ٤١.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٧-٩٦٠٨.

فلقد أورد الطبري العديد من المرويات في شرحها، ومنها رأي مجاهد الذي يقول فيه أنَّ «الصلاة للإنسان، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق»[1] ورأي الطبري بأنَّ تأويل الكلام في هذه الآية هي أنه «كلٌّ مُصَلٍّ ومُسَبِّحٍ منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه»[2] أو أنه «قد علم كلٌّ مُصَلٍّ ومسبحٍ منهم صلاة نفسه وتسبيحه، الذي كلفه وألزمه»[3] ويتفق رأي الشعراوي في ذلك مع رأي الطبري.

ويرى الزمخشري أنَّ الصلاة المقصود في قوله تعالى: (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)[4] هي «الدعاء، ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة، التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها»[5] وكذلك يقرر البغوي في تفسيره هذا المعنى مع قوله بأنَّ: «كل مُصَلٍّ ومُسَبِّحٍ علم الله صلاته وتسبيحه»[6] وهذا هو رأي الطبري، فلقد نقل البغوي ما أورده الطبري في تفسيره لهذه

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩/ص٣٣٦-٣٣٧.

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩/ص٣٣٧.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩/ص٣٣٧.

[4] سورة النور، الآية: ٤١.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج٣/ص٢٣٨.

[6] البغوي، معالم التزيل، ج٣/ص٢٩٧.

الآية، ويبدو من سياق نقله أنه يجيزها كلها دون ترجيح لأيها على الآخر، وكذلك لقد أورد الطبرسي كل ما أورد الطبري، وزاد عليه بأنَّ المقصود من آية سورة النور «أنَّ جميع ذلك قد علم الله – تعالى – دعاءه إلى توحيده وتسبيحه وتنزيهه»[1]

ولقد عرض القرطبي[2] كذلك لجميع الآراء التي أوردها الطبري دون انتخاب أيٍّ منها.

أما ابن كثير فيعطينا رأي واضح وصريح يقر فيه بإمكانية التسبيح من جميع خلق الله تعالى. فيقول حول تفسيره هذه الآية من سورة النور «يخبر الله – تعالى – أنه يسبحه من في السماوات والأرض، أي من الملائكة والأناس والجان والحيوان، حتى الجماد، كما قال تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[3]»[4]

---

[1] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧/ص٢٠٦.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، انظر ج٦/ص٤٤٩٩.

[3] سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/ص١٧٧.

ولم يأتِ الخازن[1] بجديد في هذه المسألة، بل أخذ ينقل نقلًا مباشرًا من تفسير البغوي لهذه الآية.

وذهب الألوسي[2] إلى وجود صلاة وتسبيح من كل الكائنات حتى الجمادات.

فكما لاحظنا أنَّ من المفسرين من رأى بأنَّ للكائنات صلاة خاصة بها، ومنهم من ذهب إلى تأوليها إلى الدعاء وقصر الصلاة على الإنسان فحسب، بينما اختار الشعراوي من جملة هذه الآراء رأيًا واضحًا وصريحًا، وهو أنَّ لكل الموجودات صلاتهم وتسبيحهم الخاص بهم، وهو بلسان المقال، وليس بلسان الحال.

(د) الإنسان وموضوع تسبيح الكائنات:

ومن باب ربط موضوعات القرآن الكريم بالواقع الإنساني، لا ينسى الشعراوي أن يعرض لنا في إلماحة سريعة عن موقف الإنسان من موضوع التسبيح، باعتباره جزءًا من هذا الكون المسبح لله تعالى، وكذلك باعتبار أنَّ الهدف الجوهري من القرآن الكريم ككل، ومن القصص القرآني بوجهٍ خاص هداية الناس إلى الله تعالى، ويُعد

---

[1] الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٣/ انظر ص٣٣٤.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٠/ انظر ص٣٨٠.

هذا النمط - من الربط بين القرآن الكريم والواقع - من سمات اللون الموضوعي التي أشار إليها محمد باقر الصدر.

ومما ساعد الشعراوي في بروز اللون الموضوعي لديه في خواطره، هو اتصاله المباشر بالجمهور، مما يفرض عليه دومًا محاولة ربط جميع موضوعات القرآن الكريم بواقعهم، ولذلك لاحظت في جميع معالجاته الموضوعية أنه يفعلها في حياة المسلمين بشكلٍ جذابٍ يتناسب والناحية الإعلامية التي تعتمد في كل ما تقدمه على جانب الإثارة والتشويق.

فالأشياء كلها تسبح الله - تعالى - قهرًا وخضوعًا، ولا عصيان في حقها، بينما الإنسان هو من يشذ بعض بنيه عن الخضوع لله تعالى، فلقد خلقه الله - تعالى - على الحرية والاختيار، إن شاء خضع لله - تعالى - وإن شاء لم يخضع مسبحًا له - تعالى - طائعًا خاضعًا، ولديه من الإمكانات ما يؤهله إلى حسن التمييز وبراعة الاختيار.

ولقد جعل الله - تعالى - مناط خلافة الإنسان في الأرض مرهون بحسن استثمار مواهب الله - تعالى - التي استودعها فيه لحِكَم شتى، تقصر العقول دون الوصول إليها، إذن فالإنسان يملك حرية الاختيار، وبالتالي هو المخلوق الوحيد الذي لا يُقْهَر على

التسبيح؛ وذلك لأنه مكلف و«لا يدخل تحت التكليف إلا الأفعال الاختيارية»[1] ولذلك يقول الشعراوي: «إنَّ الحق – سبحانه وتعالى – حين يعرض قضية التسبيح والخضوع والقهر من المخلوقات جميعًا لله يأتي الكلام عامًّا في كل الأجناس بلا استثناء، إلا في الكلام على الإنسان، فإنَّ التسبيح والخضوع خاص ببعض الناس، اقرأ قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ[2] لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ..)[3] هكذا بلا استثناء، أما في الإنسان، فقال: (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)[4]»[5]

وخلاصة هذا الفصل أنَّ الشعراوي قد تناول موضوع «تسبيح الكائنات» حيةً كانت أم جماداً، وذلك من خلال تفسيره لسورة

---

[1] أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق د/ محمد سليمان الأشقر، ج١/ص١٦٢، ط. مؤسسة الرسالة.

[2] قال الزمخشري في تفسير معنى السجود هنا في هذه الآية أنه «سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها: سجوداً له، تشبيهًا لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد، وهو السجود الذي كل خضوع دونه» الزمخشري، الكشاف، ج٣/ص١٤٥-١٤٦.

[3] سورة الحج، الآية: ١٨.

[4] سورة الحج، الآية: ١٨.

[5] الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج١٥/ص٩٦٠٨.

الأنبياء في خواطره حول قصة «تسبيح الكائنات مع (داود) عليه السلام» الواردة في الآية ٧٩ من السورة، ولقد عالج الشعراوي هذا الموضوع من خلال العناصر الآتية:

(أ) نقد الشعراوي للمفسرين في فهمهم معنى «تسبيح مع الكائنات»

فقد انتقدتُ من قال من العلماء أنَّ تسبيح الكائنات تسبيح دلالة، وليس تسبيحًا منطوقًا، فاستحضرتُ أقوال العلماء في ذلك، ثم عدتُ إلى معالجة الشعراوي لهذه المسألة، والتي وظف في رده عليها معارفه في علمي اللغة والتجويد مع استعمال الشاهد القرآني، وكذلك اللجوء إلى ضرب الأمثلة اليسيرة، وذلك حتى يتمكن غير المتخصص من جمهوره فهم ما يدلي به، وأوضح أنه إذا كنا نحن البشر أبناء الجنس الواحد لا يفهم بعضنا لغات بعض، فهذا عربي وهذا إنجليزي وهذا فرنسي، فإذا لم نتعلم هذه اللغات لن نفهمها، وحتى أنَّ البشر أنفسهم حينما يسعون لتعلم لغة قد يعز عليهم النطق الصحيح لبعض الحروف، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نعجب حين لا نفهم لغة الطير ولغة الجماد؟

(ب) معالجة الشعراوي لقضية تسبيح الكائنات الحية

ثم تدرج الشعراوي في معالجة موضوع تسبيح الكائنات، فبدأ بمعالجة مسألة تسبيح الكائنات الحية من خلال ما ورد عن ذلك في النص القرآني الكريم، فاستحضر قصة الهدهد والنملة مع سليمان

– عليه السلام – وكيف فهم عنهم سليمان – عليه السلام – وكيف خاطب الهدهد، وكيف خاطبه الهدهد.

واتخذ هذه النماذج القرآنية الكريمة دليلًا على وجود لغة ومنطق خاص بالكائنات، وبالتالي فقد انتهى إلى أنَّ الكائنات مسبحة بلسان المقال، وليس بلسان الحال.

(ج) معالجة الشعراوي لقضية تسبيح الجمادات

ثم انتقل الشعراوي إلى معالجة هذه القضية مستندًا على ما سبق وقدَّم له في العنصرين السابقين، ثم منطلقًا من قوله تعالى: (...وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...)[1] ولقد عرضت لآراء العلماء والمفسرين المؤيدة له في ذلك.

وفي سبيل إثبات الشعراوي أنَّ للجمادات منطقًا خاصًّا بها تسبح الله – تعالى – به، فقد استشهد بتسبيح الكائنات مع داود، وخبر تسبيح الحصى في كف رسول الله ﷺ وعالجهما؛ حتى يثبت أنَّ لهذه الكائنات منطقًا؛ إذن فهي مسبحة لله – تعالى – بلسان المقال، وليس بلسان الحال؛ ولذلك فقد أكد أنَّ الجبال والطيور هي مسبحة لله – تعالى – مع داود ومع غيره، ولكن المزية في أنها تردد معه، وتوافقه التسبيح وتجاوبه.

---

[1] سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

وكذلك الحصى يسبح في يد رسول الله ﷺ وفي يد أبي جهل، ولكن المعجزة هي في سماع الرسول ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - لتسبيحها.

ثم اتجه الشعراوي مُثْبِتًا أنَّ للجمادات حياة تناسبها، وبرهن على ذلك بالشواهد القرآنية الكريمة، وبعض الإشارات العلمية مع اللجوء إلى استخدام الأمثلة اليسيرة، ثم انتهى إلى أنَّ الأداء والبيان في منطق الجمادات أو الأحياء، ليس من الضروري أن يتم بالكلام المسموع، حتى نعترف لهم بمنطقٍ خاصٍّ بهم، فقد يتشكل ذلك المنطق في أنماط عدة، واستند في توضيح ذلك إلى قوله تعالى: (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)[1]

(د) الإنسان وموضوع تسبيح الكائنات

وانطلاقًا من محاولة الشعراوي ربط موضوعات القرآن الكريم بالواقع نجده يختم حديثه في موضوع تسبيح الكائنات بلمحة سريعة عن موقف الإنسان من قضية التسبيح والخضوع لله تعالى، فأوضح أنَّ القهر والخضوع هو في حق جميع الكائنات عدا الإنسان؛ ولذا فقد عبر القرآن الكريم بأنَّ الخضوع خاص بفئة من الناس، وليس جميعهم، بينما عمم القرآن الكريم الخضوع في سائر الخلق، ولقد

---

[1] سورة النور، الآية: ٤١.

استشهد على ذلك من النص القرآني الكريم، ولقد أراد من وراء ذلك أن يحث جمهوره على الخضوع لله – تعالى – كسائر المخلوقات.

ولا يخفى علينا أنَّ هذا النمط – من الربط بين موضوعات القرآن الكريم والواقع – يُعد من سمات اللون الموضوعي في التفسير، والتي أشار إليها محمد باقر الصدر، ومما ساعد على ظهور هذا اللون الموضوعي – في خواطر الشعراوي – هو اتصاله المباشر بالجمهور، مما يفرض عليه دومًا محاولة ربط جميع موضوعات القرآن الكريم بواقعهم.

●●●

obeikan.com